المبعوث الملكي "*Missus Dominicus*"

قراءة في أحد الأنظمة الإدارية في الأمبراطورية الكارولنجية في القرن التاسع الميلادي

د. عمر عبد المنعم إمام إبراهيم

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب – جامعة عين شمس

"المبعوث الملكي *Missus Dominicus*"

قراءة في أحد الأنظمة الإدارية في الإمبراطورية الكارولنجية في القرن التاسع الميلادي

كان لقبيلة الفرنجة *Regnum Francorum* الحظ الأوفر والظرف المناسب، كي تحظى باستقرار دائم في الغرب الأوروبي، بل كانت القبيلة الأكثر أمناً سياسياً ودينياً في وسط منطقة تعج بالاضطرابات العسكرية والتقلبات الاجتماعية أيضا؛ وذلك لتقربها من السلطة الدينية في الغرب الأوروبي "البابوية"، فقد دانت قبيلة الفرنجة بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي "مذهب البابوية" عكس العديد من القبائل الجرمانية الأخرى التي ناصبت العداء للبابوية، باعتناقها المسيحية على المذهب الآريوسي1.

وثمة عوامل ساهمت في ثبات واستقرار قبيلة الفرنجة لفترة طويلة من الزمن، منها القوة العسكرية والتنظيم الإداري الجيد، وقد خلف الكارولنجيون الملوك الميروفنجيين في حكم مملكة الفرنجة ليرثوا منهم تلك الإدارة الجيدة، التي مكنتهم من إحكام السيطرة على إمبراطورية ضخمة ضمت مساحات واسعة من الأراضي، وأجناس مختلفة من الشعوب لا سيما بعد أن وصلت لأقصى اتساعها أواخر القرن الثامن الميلادي، بعدما بدأ شارلمان (742–814م) Charlemagne بتوسعاته الكبيرة ليصل في النهاية إلى إمبراطورية ضخمة لزم عليه أن يضع لها التخطيط الجيد إدارياً حتى يحكم سيطرته عليها2.

وقد تطلبت المملكة الشاسعة التي اكتسبها الكارولنجيون إدارة دقيقة، لجعل سلطتهم فعالة، ويبدو أن الملوك الكارولنجيين قد عرفوا ضخامة ومسئولية هذه المهمة الشاقة لإحكام سيطرتهم على العالم الكارولنجي، وبخاصة شارلمان، الذي بذل جِهداً كبيراً في هذا الشأن، فقد استعان شارلمان وخلفاؤه بالعديد من وسائل الحكم والإدارة حتى يصلوا في النهاية إلى الهدف المنشود بتحقيق الكفاءة في إدارة الإمبراطورية، وكان من بين تلك الوسائل التي استعان بها الكارولنجيون، ما يُسمى بنظام المبعوثين الملكيين" *Missi Dominici*" أو الوكيل الملكي "Royal Agent"3.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على إحدى وسائل نظم الحكم والإدارة في الإمبراطورية الكارولنجية، وهو نظام المبعوث الملكي، الذي كان له دور كبير وفعال في إحكام السيطرة على الإمبراطورية ككل وبخاصة في فترة حكم شارلمان. كما تهدف الدراسة إلى الإجابة على عدة تساؤلات، منها التعرف على ماهية المبعوث الملكي، وهل كان له دور فعال وتأثير مباشر على أداء الإدارة الكارولنجية، وإلى أي مدى روّض الكارولنجيون سلطة ونفوذ الحُكام المحليين "الكونتات" the Counts الطامحة، عن طريق المزايا التي منحها الملك أو الإمبراطور الكارولنجي للمبعوث الملكي، كما ترصد الدراسة التغيرات التي طالت نظام المبعوث الملكي، ومدى تأثرها بالتطورات السياسية والاجتماعية التي واكبت تطور النظام الإقطاعي في الغرب الأوروبي عامة وفي العالم الكارولنجي خاصة.

ومن ثم، يجدر بنا في بادئ الأمر التعرف على شكل الإدارة الكارولنجية[4] سريعاً، لنتعرف على ترتيب المبعوث الملكي في السلسلة الإدارية. تشكلت إدارة الإمبراطورية الكارولنجية من عدد من المسئولين؛ فهناك رجال الدولة العلمانيين من طبقة الكونتات، وكان لهؤلاء مهام ومسئوليات داخل الإمبراطورية، منها تحقيق العدالة وجمع وتجنيد الأفراد المؤهلين للانخراط في الجيش الفرنجي، ومن ناحية أخرى، اعتمد الكارولنجيون على الأساقفة ورؤساء الأديرة في إدارة الدولة، فكان لهم مهام ومسئوليات ملكية، وكان الملك يعينهم في وظائف مرموقة بالدولة، وغالباً شاركوا الكونتات في إعداد وتأليف الجيش، ونظراً لطبيعة الظروف والأوضاع المحلية، فقد تم تحديد الأدوار الدقيقة لهؤلاء الرجال من خلال إنشاء شبكة من المقاطعات الإقليمية، التي استخدمت بواسطة الكارولنجيين كوسيلة تكتيكية للتحكم والسيطرة على الممالك الملحقة للإمبراطورية كما الحال بالنسبة لإيطاليا. على جانب آخر كانت هناك مقاطعات أخرى مثل الإلزاس[5] Alsace وكانت الإدارة فيها مخولة إلى الأديرة الملكية. وقد أتى المبعوث الملكي على رأس قائمة هؤلاء الموظفين ليشرف عليهم كنائب عن الملك، بمعنى أنه يراقب عن كثب عمل الموظفين من الكونتات والأساقفة، ويكتب ملاحظاته وتقاريره ويرفعها إلى الملك6

وكان نظام المبعوث الملكي مثل كل نظام إداري، جاء نتيجة التطور في النواحي الإدارية في دولة الكارولنجيين، ويمكن الاستدلال على النموذج الأول لهذا النظام في وظيفة الرسول الذي اعتاد الملوك الميروفنجيين إرساله لأداء مهام بعينها، والذي ينتهي دوره أو سلطته بمجرد تأدية مهمته، بمعنى أن سلطته المخولة من

الملك تنتهي بانتهاء المهمة الموكلة إليه، فقد اعتاد كل من بيبن القصير Pepin the Short (751-768م) وشارل مارتل Charles Martel (718-741م) على إرسال مبعوثين لمراقبة أحوال الدولة7.

أما إذا نظرنا إلى المصطلح، نجد أن مصطلح "*Missus Regis* مبعوث الملك"، أو "*Dominicus* الملكي" أو *Regalis* ملكي، أو *Palatinus* مبعوث البلاط، التابع للبلاط، كل هذه الصفات كانت تُستخدم حينها لوصف المبعوث الملكي. وعلى الرغم من أن الملوك الميروفنجيين استخدموا مصطلح *Missi* رسل، واستخدم الكارولنجيون مصطلح *Missi de Palatio discurrentes* "الرسل المرتحلون خارج البلاط الملكي"، إلا أن شارلمان هو من أضفى على هذه الوظيفة الصفة المؤسسية، وأكسبها الاستمرارية كواحدة من أهم الأنظمة الإدارية في المملكة الفرنجية8.

فقد أولى شارلمان عناية خاصة بنظام المبعوث الملكي، وتمثلت مظاهر هذا الاهتمام في قيامه ببعض التعديلات فور رجوعه من مراسم التتويج الإمبراطوري عام 800م في روما، وذلك خلال الاجتماع الذي عقده عام 802م بخصوص بعض الإصلاحات في الجهاز الإداري، وقد سجلت بعض المصادر هذا الإجراء؛ منها حولية لورش Annals of Lorsch، وتشريعات المبعوثين العامة *Capitulare Missorum Generale*[9]، وكان السبب الذي دفع شارلمان لاتخاذ هذه التدابير المهمة لنظام المبعوث الملكي، تفشي الفساد بين الأمراء الإقطاعيين والكونتات المحليين، وخوفه من ازدياد نفوذ وسلطة هؤلاء الأمراء10.

وقد ركز البند الأول من تشريعات المبعوثين العامة على آلية اختيارهم من قِبل الإمبراطور شارلمان، فقد اختار بعض الرجال "الأكثر براعة وحكمة من بين نبلائه ورؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورؤساء الأديرة، والعلمانيين الأتقياء، وأرسلهم عبر أقاليم مملكته، وعن طريق هؤلاء الرجال، فقد أرسى لشعبه قواعد وقوانين ترشدهم لحياة عادلة"[11]. وأمر هؤلاء المبعوثين بإجراء العديد من التحقيقات، ثم كتابة تقارير عن حالات عدم المساواة أو الظلم في بنود القانون، وإذا ثبت ذلك، كان شارلمان يتعهد بتصحيح تلك البنود. كما أمر شارلمان بأنه لا ينبغي لأحد أن يجرؤ على تغيير القانون المنصوص عليه بأية وسيلة خداع أو غش، أو لإفساد مجرى العدالة، لتحقيق غاياته الخاصة، أو التعامل بشكل غير عادل مع "كنائس الرب"، أو مع الفقراء، أو الأرامل والأيتام، أو مع أي شخص مسيحي. لكنه أمر جميع الناس بأن يعيشوا حياة مستقيمة وفقاً "لأوامر الرب"، وأن يظل كل فرد في مركزه ووظيفته، يؤدي ما عليه من واجبات؛ فرجال الدين عليهم مراقبة قواعد الحياة الرهبانية بدون التفكير في المكاسب الدنيوية، والراهبات عليهن المراقبة الدؤوبة للحفاظ على حياتهن، والرجال العلمانيين للحفاظ على تطبيق القانون بعدالة دون احتيال، وفي النهاية، على الجميع أن يحيوا معاً في سلام تام ومثالية صادقة12.

وكقاعدة عامة، فقد كان يتم اختيار مبعوثين اثنين لكل مقاطعة، أحدهما علماني والآخر من الإكليروس، يمارسان السلطة معاً ويتم تعيينهما لمدة عام واحد فقط، خوفاً من إمكانية قيام تعاون بين المبعوث وحاكم الإقليم قد تهيأ لهما القوة والفرصة للقيام بثورة ضد الملك. وقد راعى شارلمان في اختياره للمبعوث ألا ينتمي

إلى المناطق التي يتم تعيينه فيها سواء عن طريق الولادة أو امتلاكه أراض وممتلكات في ذلك الإقليم، وقد تم اتخاذ هذه الاحتياطات والتدابير كمحاولة لاستبعاد أية مصالح شخصية تتعارض مع واجباتهم العامة، وكذلك منعهم من توطيد سلطتهم. وعلى الرغم من أن تشريعات عام 802م حددت عملية اختيار المبعوث على أساس تحليه بالحكمة والأفضلية عن بقية أقرانه، إلا أنه ثمة مجموعة من المرشحين في مناطق محدودة للغاية كان يتم اختيارهم حسب انتمائهم إلى عائلات أرستقراطية نبيلة13.

وقد تعددت واجبات المبعوث الملكي، والمهام والمسئوليات التي كان منوط به تأديتها؛ ومنها: استعادة النظام في الولايات التي تعج بالمشاكل والصراعات الأهلية، وتلقي قسم اليمين والولاء للملك الجديد، وجمع وتحصيل الإيرادات المالية من الولاية، هذا فضلاً عن أن الملك أرسل مبعوثه في معظم الأحيان لرفع الظلم عن كاهل الشعب. وكان من مهام المبعوث أيضا الإشراف الإداري على الكونتات وأتباعهم من الموظفين. وكان لدى الكونتات فرص عديدة لإساءة استخدام وظيفتهم ومكانتهم الإدارية، فقد تلقوا رشاوي مالية في مقابل عدم تقديم الأفراد للتجنيد في الجيش كما كان بإمكانهم إصدار أحكام قضائية في صالحهم وصالح أتباعهم وحلفائهم. وكان على هؤلاء المبعوثين وضع حداً لتلك الانتهاكات التي تسبب فيها الكونتات، ومن أجل القيام بذلك فقد تم منحهم صلاحيات واسعة. وكان من ضمن اهتماماتهم أيضا، تطبيق القوانين ومراعاة تنفيذها ومعاقبة أي انتهاك لها. كما كان لهم الحق في الإشراف على التجارة والطرق والجسور والمجاري المائية وسدود

الأنهار. وبالتعاون مع الأساقفة، فقد كان المبعوث ينظر في الأمور المالية للكنيسة ويتفقد الأديرة والمؤسسات الكنسية الأخرى. وبصفة عامة، فقد تحتم على المبعوث أن يطبق القوانين، ويتابع تنفيذها ويعاقب منتهكيها بمساعدة الكونتات والأساقفة[14].

وقد أُسندت بعض الواجبات الخاصة إلى المهام الرئيسية التي تكلف المبعوث بها؛ لا سيما مهمة الدفاع عن الخطوط الساحلية للإمبراطورية ضد الاعتداءات الخارجية في كل من إرسالية باريس Paris، وإرسالية الرون Rouen، بينما في منطقة السكسون Saxon فكان واجب حماية الكنيسة يُعد مسئولية خاصة للمبعوث، ونتيجة لتلك المهام الجسام التي أُلقيت على كاهل المبعوث الملكي، فقد كانت هذا النظام إضافة هامة للنظام السياسي في الإمبراطورية الكارولنجية15.

أما فيما يتعلق بالمناطق التي تم إرسال المبعوث إليها؛ فقد قسم شارلمان الإمبراطورية إلى أقاليم تابعة للمبعوثين، وكان يُطلق عليها مصطلح "إرسالية أو مبعوثية" *Missatica*، ومن أمثلة تلك الأقاليم: إقليم السين Seine، الذي ضم كل من (السين، أورليان Orleans وجزء كبير من برجنديا Burgundy، علاوة على بيزانسون Besançon). أما إقليم ريمز Rheims فقد ضم (شامباني Champagne، ليون Lyonnais، سواسون Soissons)، وضم إقليم الرون Rouen (ماين Maine، ولاحقاً منطقة نورماندي Normandy، غرب نهر السين) بينما ضم إقليم باريس Paris (بعض المدن المجاورة، بالإضافة إلى مدينة شارتر Chartres)[16]

وأشار الباحث فيرنر Werner إلى أن نظام "المبعوثية" قد تطور تدريجياً في نفس الوقت الذي كانت يتطور فيه مكتب المراسلات الرسمية الكارولنجي (دار محفوظات الوثائق الرسمية)، وبات يعمل بكامل طاقته خلال عهد كل من شارلمان ولويس التقي (814-840م) Louis the Pious وشارل الأصلع (823-877م) Charles the Bald. وصرح فيرنر إلى أن كل من شارلمان ولويس التقي اعتمدوا بشكل أساسي على رؤساء الأساقفة لتولي وظيفة المبعوث الملكي[17]، وأشار فيرنر إلى أن نظام المبعوثية كان مسئولاً أمام الحكومة المركزية في آخن عن أداء مهامه، وتمثلت أقاليمه في الممالك الثلاث القديمة[18]، أوستراسيا Austrasia، ونستريا Neustria، وبرجنديا Burgundy، أي أن بروفانس Provence، وسبتمانيا، وجاسكوني، وأكوتين، وبريتاني، وفريزيا، وساكسونيا، وثورنجيا Thuringia، وبافاريا، وألمانيا وإيطاليا لم يكونوا جزء من نظام المبعوثية. ويرى فيرنر أن معظم هذه المناطق الطرفية (الهامشية) قد تشكلت سياسياً وإدارياً في ممالك صغيرة، ودخلت كل من إيطاليا وأكوتين، وبافاريا ونستريا وبروفانس، وألمانيا وفريزيا وساكسونيا، ولوثرنجيا Lotharingia، تحت هذه الفئة. ولبسط سيطرة الإدارة الكارولنجية على تلك المناطق، كان على الملك تعيين نائباً له عليها (أمير من الأسرة المالكة)، وكان في العادة أحد أبنائه، ويعاونه أحد مسئولي البلاط الفرنجي[19].

وبالتالي، فقد كانت هناك ثلاثة أقسام إدارية رئيسية في هيكل الممالك الكارولنجية: القلب الذي يخضع للإشراف المباشر بمساعدة نظام "المبعوثية"، والممالك الصغيرة الوسطى، التي كانت تتألف من الأراضي غير الفرنجية ويحكمها

نائب الملك، والمناطق الصغيرة الهامشية التي تزايدت في القرن التاسع ودمجت نفسها مع الممالك الفرنجية المجاورة.

وعلى الرغم من كون المبعوث الملكي أداة فعالة في كثير من الأحيان للإدارة الكارولنجية، إلا أنه لم يكن فوق الفساد، ففي إصلاحات عام 802م أشار ثيودلف من أورليان (760/750–818م)[20] Theodulf of Orleans، أسقف أورليان، إلى الصعوبات التي قد تواجه المبعوث، والظروف المحيطة التي تجعله عُرضة لتلقي رشاوي بشكل متكرر، ومع ذلك كانت وظيفة المبعوث الملكي عنصراً مهماً في الإدارة الكارولنجية[21].

ويُعد ثيودولف من أورليان نموذجاً لأحد المبعوثين الذين أُرسلوا ليؤدوا مهمة ملكية خاصة، وهو يقدم دليلاً مبرهناً على كمية الفساد الذي استشرى في جسد الإدارة الكارولنجية وبخاصة في الأقاليم النائية، وألَف ثيودلف قصيدة بعنوان "ضد القضاة"[22] *Contra Iudices*، لخص فيها حالة الفساد السياسي في الإدارة الكارولنجية، وخاصة المحاكم وما يتعلق بها من رشاوي للقضاة، وزعم الباحث ديمتريوس جلوفر Demetrius Glover، بأن قصيدة ثيودولف عكست تفسيراته عن الفساد السياسي في المجتمع الفرنجي أكثر مما وصفه من حقائق الفساد في المحاكم الفرنجية؛ ففي عام 798م كلف شارلمان ثيودولف بأن يكون مبعوثاً ملكياً. وقام ثيودولف مع شريكه لايدراد Laidrad بجولة في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا، وفي كل المدن التي زاروها، توافد عليهم سكانها من كلا الجنسين ومن جميع الأعمار، لتقديم شكواهم والتماساتهم. لم يجد هذان المبعوثان تحقيق العدالة بالأمر

الهين لهؤلاء الأشخاص، الذين تشكلت لديهم عادات العنف والغش والفساد طوال قرون من الاضطرابات السياسية والاجتماعية. وقد اعتاد كثير منهم على تقديم الرشوة للقضاة[23]، علاوة على ذلك لم يكن السكان جميعهم من نفس الجنس، فقد كان من بينهم نسل المولودين من الرومان الغاليين، الذين حافظوا على قوانين روما القديمة، وأحفاد القوط الغربيين الذين كانت تحكمهم القوانين الأهلية الوطنية الخاصة بهم، وبعض العناصر الأخرى التي عاشت داخل الممالك الفرنجية بعد حروب شارل مارتل وحروب بيبن وابنه شارلمان. ونتيجة لما وجده ثيودولف من انتهاكات؛ فقد احتج على هذا الوضع وألّف قصيدته التي، في تصوره، ربما وضعت تقويماً لمظاهر الفساد السياسي في المملكة الفرنجية[24].

وكان هدف ثيودولف من كتابة قصيدته، توجيه النقد لحالة الفساد والانتهاكات، التي كانت تحدث في المحاكم، وكان شاهداً عليها، كما اقترح عدة مبادئ استرشاديه وتوجيهية في المستقبل لكل من المبعوثين الملكيين والقضاة حتى يتجنبوا الفساد، ومنع المسئولين الآخرين من أن يطالهم الفساد أثناء التقاضي في المحكمة، والحد من خيانة الأمانة بين الشهود والمتقاضين في المحاكم، وتعليقاً على مهمة ثيودلف، يذهب الباحث جلوفر إلى أنه لعب دوراً جوهرياً في عملية إصلاح نظام المبعوثين والمحاكم الكارولنجية، وعلى الرغم من عدم وجود دليل مباشر على التقاء عمل "ضد القضاة" بـ "تشريعات المبعوثين"، فإن قصيدة ثيودولف لم تكن مطلباً للإصلاح فحسب، بل يمكن اعتبارها "خطاباً توضيحياً" حول فكرة العدالة والأخلاق، فلا يمكن للمرء أن ينكر بأن عمل "ضد القضاة" يعكس موقف

ثيودولف تجاه النظام القضائي الكارولنجي. وبالنظر إلى منصب ثيودولف كمستشار شخصي لشارلمان واختصاصاته السابقة في عمليات الإصلاح الديرية والكنسية، فيمكن القول إن ثيودلف كان له دور محوري في برنامج الإصلاح الكبير مثلما تم في "تشريعات المبعوثين العامة" عام 802م[25].

وبعد وفاة شارلمان، كان من الطبيعي أن تتأثر أنظمة الإمبراطورية الإدارية بهذا الحدث؛ لارتباطها بشخصية شارلمان وقوة تأثيره فيها، وكان نظام المبعوث الملكي من أشد الأنظمة تأثراً بوفاته، لأنه كان ذات سيادة استقلالية تابعة له مباشرةً، أضف إلى ذلك، وجود تطور متنامي في الامتثال للميول والنزعات الإقطاعية في ذلك الوقت[26].

ونتيجة لتطور الأوضاع السياسية وهيمنة النظام الإقطاعي بقوة على الأحوال الداخلية في الإمبراطورية الكارولنجية، فقد ظهرت توترات سياسية وتنازع سلطات بين المبعوث الملكي بصفته نائباً ملكياً، وبين السيد الإقطاعي وما يمتلكه من أدوات السلطة العسكرية والنفوذ السياسي، وقد جرى حواراً بين عدد من الباحثين حول مدى إمكانية تأثير الإقطاع على استمرارية عمل المبعوث الملكي؛ فقد افترض الباحث جفرورر Gfrörer مُعتمداً على النصوص والقوانين التشريعية التي تم اعتمادها بمدينة سيرفي Capitulary of Servais عام 853م[27] تحت حكم الملك شارل الأصلع، ورأى أن المبعوث الملكي مازال ممثلاً عن التاج الملكي فقط وحده، ولا يمثل طبقة النبلاء من الإقطاعيين، غير أن هناك عدد من الباحثين، ومنهم وينك Wenck، ويتز Waitz، نوردن Noorden ذهبوا إلى أن وجهة نظر جفرورر

مبالغ فيها وغير مبنية على أساس صحيح، وقللوا من الدور الذي لعبه الإقطاع على نظام المبعوثين. ومن ناحية أخرى، افترض الباحث دوملر Dümmler أن استمرارية نظام المبعوث الملكي بشكل منظم وقوي كان في المملكة الألمانية الخاضعة لسيطرة لويس الألماني (843-876م) Louis the German عكس مملكة شارل الأصلع الغربية، ومما لا شك فيه أن تأثير الإقطاع في المملكة الألمانية لم يضاهي تأثيره في مملكة الفرنجة الغربية؛ فالإدارة في الشرق احتفظت بكثير من القوة والسلطة العسكرية، وأن سلطة التاج لم تتعارض مع الملكيات الإقطاعية، كما لم تتعارض أيضا مع مصالح الكنيسة ورجال الإكليروس[28].

من ناحية أخرى، لاحت في الأفق شواهد أولية دلت على انخفاض كفاءة نظام المبعوث الملكي، وذلك مع تولي لويس التقي عرش الإمبراطورية عام 814م، خلفاً لوالده الإمبراطور شارلمان؛ فقد قام لويس بربط نظام المبعوث الملكي بالجمعية العامة[29] في الإمبراطورية وسمح بمشاركة أعضاء الجمعية العامة في إدارة وحكومة الإمبراطورية، ونتيجة لهذا فقد كان للشخصيات العامة وأعضاء هذه الجمعية تأثير ونفوذ كبير في اختيار المبعوثين وفق مصالحهم الخاصة[30].

ومع الاضطراب الذي كان يحيط بهم، والحروب الأهلية داخل الإمبراطورية[31]، والمطالبة باتخاذ إجراءات فورية؛ فقد شعر خلفاء شارلمان بالحاجة إلى مبعوثين جديرين بالثقة ويمتازون بالقوة والحضور الشخصي، وظل هذا المبدأ سائراً لدى الكارولنجيين في اختيار أهل الثقة داخل الدوائر التي يشغلها هؤلاء المبعوثين، ونتيجة لهذا فقد تم اختيار المبعوثين من الأمراء الإقطاعيين في المناطق

التي يعيشون فيها، وكان من الضروري أيضا، مضاعفة أعداد المبعوثين، حتى ولو كانت الدوائر أصغر من السابق، ويبدو أن هذا الأمر بمثابة الوسيلة الوحيدة للملك كي يحد من تنامي سلطة النبلاء في الأقاليم[32].

وفي القرن التاسع الميلادي اتبعت السلطة الملكية سياسة جديدة تجاه نظام المبعوثين، تمثلت في مضاعفة أعدادهم، وزيادة فترة ولايتهم لأكثر من عام، بالإضافة إلى التجديد المتكرر لهؤلاء المبعوثين إن لزم الأمر، ولم يستطع الإمبراطور في وقت ضعفه أن يمنع النبلاء من البقاء في منصب المبعوث، وربما يعود ذلك لقلة الخيارات المتاحة أمامه من المناسبين لشغل تلك الوظيفة، وبالتالي كان تمركز السلطة وتوطينها في جانب المبعوثين، عاملاً حاسماً في تقييد وتحجيم سلطة التاج الملكي. وبحلول منتصف القرن التاسع الميلادي، أصبح للمبعوثين الملكيين وظيفة مزدوجة؛ فقد كانوا نواباً للملك، وفي نفس الوقت ممثلين عن طبقة النبلاء[33].

ويبدو أن نظام المبعوث الملكي قد بدأ يقضي نحبه تدريجياً بحلول منتصف القرن التاسع الميلادي نتيجة لعدة عوامل، من أهمها؛ حروب القرن التاسع الميلادي على المستويين، المحلي والخارجي، وتغلغل النظام الإقطاعي بقوة في المجتمع الكارولنجي، وعلى الرغم من أن نظام المبعوث الملكي كان من المفترض أن يكون أهم الإدارات السياسية للملك، إلا أنه توارى عن المشهد السياسي؛ لأنه لم يستطع الصمود في وجه الأساقفة والكونتات، الذين خضعوا على مضض للحكم المركزي، ثم تمردوا عليه تدريجياً؛ نتيجة لعوامل كثيرة. ولا يمكن التعويل على فترة الهدوء

والاستقرار الوجيزة التي ميزت حكم شارل الأصلع، الذي حاول إحياء المظاهر الإدارية المميزة لجده شارلمان، ومنها نظام المبعوث الملكي؛ لأنه لم ينجح في مهمته نتيجة للحروب التي خاضها ضد أعداء كثر؛ كحربه مع البريتون[34] Bretons، ورجال الشمال Northmen، وبرنارد من سبتمانيا[35] Bernard of Septimania، وبيبن من أكوتين Pepin of Aquitaine، علاوة على الحرب ضد أخوته، ولهذا وقبل عام 853م، لم يرد ذكر نظام المبعوث الملكي إلا نادراً، وكان وروده في أضيق الحدود وله ظروفه الخاصة[36].

وظهرت عدة محاولات من جانب الكنيسة لإحياء نظام المبعوث الملكي، ففي ديسمبر من عام 844م، عندما كان شارل الأصلع في مدينة فيرن Vern، بين كومبين Compiegne وباريس، تقدم الأساقفة بالتماس يطالبون فيه الملك شارل بتعيين مبعوثين ملكيين جديرين بالثقة، تكون مهمتهم الرئيسية وضع حد لحالة الفوضى، وردع بعض الفاسدين الذين، بثوا العبث والفوضى في شئون الكنيسة، والذين ظلوا بدون عقاب لفترة طويلة نتيجة الحروب القائمة في الإمبراطورية. لكن الملك شارل الأصلع قابل طلبهم بفتور ولامبالاة، ربما لانشغاله التام بالحروب على عدة جبهات[37].

وقد تكرر طلب الأساقفة مرة أخرى في العام التالي خلال المجمع الكنسي في مدينة بوفيه Beauvais الذي تأجل إلى مجمع مولن Melun، وقد طالب رجال الدين الملك شارل الأصلع بتعيين مبعوثين، تكون مهمتهم، ضمان تطبيق لوائح الكنيسة على الأقل، واستعادة ممتلكاتها، التي اغتصبها الإقطاعيون المتسلطون،

وكبح جماح رؤساء الأديرة العلمانيين. وبطبيعة الحال، فقد أثار طلب الأساقفة، معارضة النبلاء الذين وقفوا للأساقفة بالمرصاد خلال الاجتماع الذي عُقد في يونية من عام 846م في مدينة إيبيرني Epernay، ومع ذلك فقد وافق النبلاء على تعيين مبعوثين كي يقوموا بتنفيذ اللوائح والقواعد الكنسية، وقد اعتُبر هذا الإجراء بمثابة تنازل من النبلاء فيما يختص بأمور الكنيسة[38].

وفي اجتماع تم بين كل من شارل الأصلع وأخوه لوثير الأول (817–855م) Lothair I في مدينة فالنسيان Valenciennes في نوفمبر عام 853م، وكان بشأن النظر في أحوال الإمبراطورية، وقد تم طرح فكرة إعادة إحياء نظام المبعوثين مرة أخرى، وفي هذا الاجتماع، اقترح لوثير بأن ضمان تحقيق السلم والعدالة يأتي عن طريق إرسال المبعوثين الملكيين لاتخاذ الإجراءات الملائمة لردع اللصوص ومغتصبي الحقوق وغيرهم من الفسدة، وفي رد شارل الأصلع على اقتراح أخيه، أشار إلى أن هذا المطلب كان ضرورة ملحة من قِبل رجال الكنيسة لفترة طويلة، وأكد على أن التشريعات الخاصة التي أصدرها كل من شارلمان ولويس التقي بخصوص المبعوثين الملكيين، كان لها أهمية كبرى. وأخيراً في الاجتماع الذي عُقد في مدينة سيرفيه Servais عام 853م، تم التأكيد على القرارات التي توصل إليها مؤتمر الإخوة "مؤتمر فالنسيان"، وتم تقسيم الجزء البرجندي الفرنجي Franco–Burgundian من مملكة شارل الأصلع الغربية إلى اثني عشر إرسالية، وتم تعيين المبعوثين في تلك الإرساليات، وكان الوقت الذي تم اختياره لإعادة تأسيس نظام المبعوث الملكي من أنسب وأفضل الأوقات في فترة حكم شارل الأصلع، ففي تلك

الآونة حدث تحالف بين كل من لوثير الأول وشارل الأصلع، كما تم عقد هدنة سلام مع عناصر البريتون، بالإضافة إلى وفاة المتمرد لامبرت في مايو عام 852م[39]، وأيضا القبض على بيبن في سبتمانيا في هذا العام، كل هذه الأحداث جعلت شارل الأصلع أكثر طمأنينة[40].

وعلى الرغم من تلك الإصلاحات والتشريعات، فقد كان صعباً إجراء إصلاح إداري شامل، حتى مع وجود لوائح وقوانين وتحالفات سلمية بين أحفاد شارلمان، فمشاعر الخوف قد سيطرت على الكارولنجيين خشية انتقال التاج الملكي إلى سلطة الكونتات، الذين سعوا لعقد تحالفات وتكتلات مع المبعوثين الملكيين، ومن ناحية أخرى، ومع تزايد سلطة الأساقفة ورؤساء الأديرة، كان ذلك سيؤدي بدوره على بقاء نظام المبعوث الملكي لما كان يتمتع به الأساقفة من سلطات قضائية ومدنية داخل أبرشياتهم على رجال الدين والعلمانيين على حد سواء[41].

وإذا نظرنا إلى الجانب الألماني من الإمبراطورية الكارولنجية، نجد أن نظام المبعوث الملكي قد تعرض لنفس المصير مثل مثيله في الشطر الغربي من الإمبراطورية، لكن لا يوجد دليل كامل على مقدار تدهوره، إلا أن كونتات البلاط الملكي، وأمراء الإقطاع، ورجال الكنيسة قد امتلكوا زمام أمور الإدارة في هذا الجزء الشرقي من الإمبراطورية. أما في إيطاليا، فكان تأثير الإقطاع على نظام المبعوث الملكي مشابهاً للتأثير في الجزء الغربي الفرنسي، لكن الاضمحلال كان أبطأ، فقد ظل اسم "المبعوث" يتردد حتى القرن الحادي عشر الميلادي، وربما يعود ذلك لحدوث اندماج بين كل من المبعوث الملكي مع سلطة الأمراء المحليين، ويعتقد

الباحث أن نفوذ المبعوث الملكي أضحى من ضمن سلطات الأمراء المحليين، وأمسى المبعوث بمثابة تابع خاص لهذا الأمير بمقتضى المصلحة المشتركة وانعدام السيطرة الملكية على أقاليم الإمبراطورية[42].

وثمة تساؤل يتبادر إلى الذهن، وهو: هل كان لدى الكارولنجيين القدرة على استبعاد المبعوث الملكي من وظيفته طوال فترات تاريخ الإمبراطورية في ظل ظروف الحراك الاجتماعي والتقلبات السياسية التي شهدتها، في حال إذا ثبت عليه أنه شارك في عمليات الفساد؟ بالطبع كان لدى الكارولنجيين الأوائل هذه الاستطاعة أيام شارلمان وابنه لويس التقي، لأن هذه الفترة لم تشهد كثيراً وجود تنافس قوي بين كل من السلطة الملكية والبيوت الإقطاعية؛ فإذا نظرنا إلى فترة حكم لويس التقي نجد ثمة حالات عديدة من فصل المبعوثين، ففي دراسة أعدها الباحث أديلهايد كراه Adelheid Krah تناولت قضية إعفاء المبعوث الملكي من وظيفته، فقد اكتشف إحدى وعشرين حالة من حالات إعفاء المبعوثين تحت حكم لويس التقي، وكانت أكبر مجموعة من أصحاب المناصب من المبعوثين الذين فقدوا وظائفهم، كانوا من الذين شاركوا في الحروب الأهلية، التي كانت سبباً للفوضى والإنهاك في النصف الأخير من فترة حكم لويس التقي، وهناك مجموعة أخرى من هؤلاء المبعوثين قد فقدوا مناصبهم نتيجة لانغماسهم في ثورة برنارد ملك إيطاليا Bernard of Italy[43].

وكانت هناك مجموعة أخرى من المبعوثين فقدوا وظائفهم نتيجة فشلهم في أداء واجباتهم العسكرية وهم: هيو Hugh، وماتفريد Matfrid، وبالدريتش من فريولي Balderich of Friuli. واثنين أخرين من هؤلاء المبعوثين؛ الأولى قوطي،

والثانية جاسكوني، تم خلعهما بتهمة الخيانة، وذلك في سياق الجهود الفرنجية لدمج مناطقهم الأصلية في الإمبراطورية. أما الحالة الأخيرة فهي تشمل سيجواينس من بوردو Sigiwinus of Bordeaux. وتروي المصادر المعاصرة بأن سيجواينس بعدما فُصل من وظيفته؛ قاد تمرداً ضد الكارولنجيين في جنوب الإمبراطورية[44].

من خلال ما سبق فإن الحالات التي اكتشفها الباحث كراه تسمح لنا باستخلاص بعض الاستنتاجات حول استبعاد لويس التقي مبعوثيه من مناصبهم، فقد كانت الأسباب؛ إما لانخراطهم في الحرب الأهلية أو التمرد عليه. غير أن عملية استبعاد المبعوث الملكي لم تتم بسلاسة، لأنه كان هناك العديد من هؤلاء المبعوثين قد استغلوا فترة الحرب الأهلية الدائرة بين لويس التقي وابنه لوثير الأول، واتخذوا جانب لوثير ضد أبيه، وعلى الرغم من أن لويس التقي استطاع فصل عدد من المبعوثين الملكيين من وظيفتهم، إلا أن ذلك التصرف أدى إلى تجمع أعداء أقوياء ضده باتوا يتحينون الفرصة للثورة عليه ومحاربته[45].

وبعد مُضي أكثر من ثلاثين عاماً على وفاة لويس التقي، وتحديداً أثناء فترة حكم شارل الأصلع لمملكة فرنجيا الغربية، تغيرت الأوضاع العامة بالإمبراطورية نتيجة لتغيرات في الأحوال السياسية، وتأثير الإقطاع القوي، وبخاصة في المملكة الغربية، وازدياد نفوذ الأسر الإقطاعية، مما كان له دور كبير في عدم استطاعة شارل الأصلع فصل المبعوث الملكي من منصبه، بل على العكس من ذلك، فقد فسر المؤرخون اللائحة القانونية التي أصدرها شارل الأصلع عام 877م، والمعروفة بـ "تشريعات كيرزي Capitulary of Quierzy"[46]، والتي تقضي بأن يرث الابن

وظيفة والده الكونت، على أنه أمر طبيعي، والذي أدى بطبيعة الحال تدريجياً إلى التنازل عن السلطة الملكية والخطوة الأولى في سلسلة التنازلات، التي أدت في نهاية الأمر إلى تنامي قوة الإقطاع والأسر الإقطاعية، لما كان لها من امتيازات ملكية حينذاك[47].

ربما كان شارل الأصلع مجبر على إصدار تلك النوعية من القرارات، والتي كان من أهمها منح حرية كبيرة للسادة الإقطاعيين في وراثة الوظائف المرموقة في الإمبراطورية، وربما كانت الظروف الطارئة التي أجبرته على ذلك، تمثلت في صراعاته السياسية داخل الإمبراطورية وخارجها؛ فقد كان عليه محاربة المتمردين وقمع ثوراتهم، وفي نفس الوقت اتباع سياسة راشدة تجاه الخطر الخارجي المتمثل في قبائل الفيكنج.

ونتيجة للاضطرابات السياسية والخلافات والحروب الأهلية والغزوات الخارجية، فقد اختفى نظام المبعوث الملكي الذي طوره شارلمان، بعد قرن من الوجود على سطح الأحداث، وبالتناسب مع اختفاء المبعوث الملكي؛ فقد اكتسب الأدواق والكونتات قوة وسلطة مستقلة، ففي فرنسا كانت فترة حكم لويس المتلعثم (846-879م) Louis the Stammerer وابنائه تلتها فترة من التعثر والمشاكل تمثلت في حكم شارل البسيط (879-929م) Charles the Simple، وخلفائه، وفي ألمانيا عندما حكم طفل صغير، لويس الطفل (893-911م) Louis the Child، أعطى الفرصة لهؤلاء المبعوثين لإرضاء طموحاتهم، وربما تلاعب المبعوث الملكي بالملك الكارولنجي، سواء في شرق الإمبراطورية أو غربها، مستغلاً حالة

الفوضى السياسية والفتن والاضطرابات الخارجية، وسعى للاستحواذ على السلطة، أو متعاوناً مع إحدى الأسر الإقطاعية لتحول مسار السلطة في الإمبراطورية من سلالة الكارولنجيين إلى أسرة جديدة تعتلي سدة الحكم[48].

من خلال ما سبق يمكن القول بأن نظام المبعوث الملكي كان له دور كبير، وبما امتاز به شارلمان من خبرة إدارية وسياسية، فقد اهتم كثيراً بهذه النظام، وسّن له القوانين لجعله ذات سيادة استقلالية عن بقية الأنظمة الإدارية الأخرى، خاصة بعد التوسعات العديدة التي زادت من مساحة وحجم الإمبراطورية، فكان على شارلمان أن يراقب كل صغيرة وكبيرة داخل الإمبراطورية، فاستحدث هذا النظام كي يقوم بهذا الدور على أكمل وجه، وبالفعل نجح شارلمان في السيطرة إدارياً إلى حد كبير بمعاونة المبعوث الملكي، وبمجرد وفاته بدأ يسير النظام تدريجياً، في طريق النهاية لعدة أسباب؛ منها تكالب أحفاد شارلمان على تقسيم الإمبراطورية، ودخولهم في حروب أهلية مما سهل من مهمة الأمراء الإقطاعيين استغلال تلك الحروب لتحقيق مآربهم الخاصة ومصالحهم الشخصية.

ومع تغول السادة الإقطاعيين، نتيجة استغلالهم للحروب الأهلية والغزوات الخارجية، فقد تمكن هؤلاء السادة، ربما بمعاونة المبعوث الملكي، من الاستئثار بالسلطة الإقليمية ومحاولة الوصول إلى الحكم، مثلما نجحت أسرة الروبرتيين للوصول إلى سدة الحكم في فرنسا، وبما أن هذه الأسرة الإقطاعية قد نجحت في الانفصال عن هيكل الإمبراطورية الكارولنجية، فهذا أكبر دليل على انهيار نظام

المبعوث الملكي وحياده عن الطريق القويم الذي خطه شارلمان منذ بداية حكمه إمبراطوراً.

قائمة المختصرات

CMH	Cambridge Medieval History
MGH	Monumenta Germaniae Historica
MP	Medieval Prosopography
NCMH	New Cambridge Medieval History

الهوامش

1- يعتبر كلوفس (486-511م) Clovis، المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة بعد عشر سنوات من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، فقد نجح في توحيد بلاد الغال Gaul في مملكة واحدة بعد أن كانت عدة ممالك فرعية، وفي عام 496م، اعتنق المسيحية على المذهب الكاثوليكي، ويُعزى ذلك لتأثيرات زوجته كلوتيلد Clotilde، الأميرة البرجندية، فتعمد وثلاثة آلاف من أتباعه في كاتدرائية ريمز Reims، فاكتسب الشرعية، وحظى بمناصرة وتأييد البابوية ورجال الدين الكاثوليك، كما أصبح المدافع الأول عنهم وعن أملاكهم وثرواتهم، وبالتالي سطّر كلوفس الصفحة الأولى من العلاقات الودية بين الفرنجة والبابوية، تلك السياسة الناجحة التي ظهرت نتائجها الإيجابية على الطرفين في عهد خلفاء كلوفس من الكارولنجيين. وقد صمم كلوفس بعد اعتناقه المسيحية على مذهبها الكاثوليكي أن يقضي على الأريوسيين عامة وفي غالة خاصة، وقد صرح بذلك علناً لوزرائه عندما قال: "إنني أجد من الصعب أن استمر في رؤية هؤلاء الأريوسيين يحتلون جزءا من غالة، لذا دعونا نغزوهم بمساعدة الرب"، وكانت تصريحاته بمثابة قوة ودفعة كبيرة لصالح البابوية من أجل الحفاظ على ممتلكاتها وأراضيها. وللوقوف على تاريخ قبيلة الفرنجة وجهدها المتواصل من أجل الاستقرار في الغرب الأوروبي راجع:

Gregory of Tours; *the History of the Franks*, trans. By Lewis Thorpe, London, 1974;

علية عبد السميع الجنزوري، *جريجوري التوري وقيام دولة الفرنجة*، القاهرة، 1988م؛ فايز نجيب إسكندر، "مملكة الفرنجة بين اللمبارديين والبابوية زمن بيبن القصير (751-768م)، *المؤرخ العربي*، 15، القاهرة، 2007م، ص 219-238؛ محمد محمد مرسي الشيخ، *الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى*، الإسكندرية، 1975م.

2- للمزيد حول تاريخ الإمبراطورية الكارولنجية ودور شارلمان في توسيع حدوده راجع: اينهارد: *سيرة شارلمان*، ترجمة عادل زيتون، دمشق، 1988م؛ Davis, H., *Charlemagne, the Hero of Two Nations*, London, 1929;

Nelson, J., *The Frankish World 750-900*, London, 1996; Wells, Ch., *The Age of Charlemagne*, New York, 1898.

3- McKitterick, R., *The Frankish Kingdoms under the Carolingians 751-987*, New York, 1983, p. 77.

4 – غلبت السمة الجرمانية على الجهاز الإداري في الإمبراطورية الكارولنجية، لا سيما في عهد شارلمان، وقد تألف الجهاز الإداري في الإمبراطورية من عدد من الرجال، الذي اختارهم شارلمان، وهم في أغلبهم علمانيون وكنسيون، يمثلون أقاليم الإمبراطورية، ويحملون ألقاب كونت، ودوق، وأمراء التخوم، وكذلك من الأساقفة ورؤساء الأديرة، وكان الكونتات والأدواق يعينون أو يتم عزلهم وفق مشيئة الملك وحده، لكنهم في الغالب رجالاً يمتلكون ضياعاً واسعة آلت إليهم بحق الوراثة، وبناء على ذلك فقد مثلت قضية عزلهم معضلة

كبيرة واجهت خلفاء شارلمان أواخر القرن التاسع الميلادي. وكان الكونت بمثابة مندوب الملك في حكم الإقليم، ويقوم بقيادة قوات الأمن وممارسة القضاء وجمع الضرائب. أما عن الأساقفة الذين يُعينون في نفس الأقاليم التي يعمل بها الكونت، فكانوا يشغلون وظائفهم بتفويض من الملك، ولرئيس الأساقفة الحق في تعيين رجال الدين في الأسقفية. للمزيد راجع:

عفاف سيد صبرة، *الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان*، القاهرة، 1982م، ص 166-169.

5 – عن تاريخ إقليم الإلزاس وطبيعة الحكم والإدارة به راجع:

Hummer, H., *Politics and Power in Early Medieval Europe, Alsace and the Frankish Realm 600-1000*, New York, 2005, p. 56-75.

6- Costambys, M. et al., *The Carolingian World*, Cambridge, 2011, p. 179.

7-Thompson, J., *The Decline of the Missi Dominici in Frankish Gaul*, Chicago, 1903, p. 292;

عفاف سيد صبرة، *الإمبراطوريتان*، ص 170.

8-Ganshof, F., *Frankish Institutions under Charlemagne*, New York, 1968, p. 23; Frassetto, M., *Encyclopedia of Barbarian Europe, Society in Transformation*, Oxford, 2003, p. 269; Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 292.

9 – "الكابيتولاري" أو التشريعات: هي في حقيقة الأمر ليست مجموعة مترابطة من القوانين المكملة بعضها ببعض، وإنما هي مجموعة من الأوامر والمراسيم المتباينة، هدفها إقرار النظام والعدالة في الدولة، ويؤخذ عليها أنها على الرغم من سلامة هدفها، لم تحاول أن تمس جذور الفساد الحقيقية في الدولة. وقد تناولت هذه التشريعات إصلاح نظم المحاكم المحلية عن طريق تقوية العنصر الشعبي في دور القضاء التي كانت بأيدي قضاة غير مسئولين يجهلون القانون ويخشون بأس الكونت أو حاكم الإقليم ويعملون لحسابه. لذلك استبدل شارلمان أولئك القضاة بهيئات أخرى يختار أعضاؤها بدقة وعناية ويشترط فيهم حسن السمعة والدراية بالقانون. وقد أمر شارلمان عام 801م بتدوين التراث التشريعي القومي لمختلف شعوب الإمبراطورية، وعلى الرغم من جهود شارلمان في تحسين النظم القضائية وتدوين القوانين وتحقيق العدالة، إلا أن الرشوة ظلت سائدة والعدالة أضحت مهضومة. راجع: سعيد عاشور، محمد أنيس، *النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة*، القاهرة، 1956م، ص 66-67.

من ناحية أخرى، تم العثور على ثلاثة نسخ من تلك التشريعات في أماكن متفرقة؛ وُجدت النسخة الأولى في مخطوطتين من القرن العاشر الميلادي، المخطوطة الأولى تم العثور عليها في مكتبة الرُسل بالفاتيكان Bibliotheca Apostolica Vaticana رقم 582، صفحات 13-14. أما المخطوطة الثانية، فقد تم العثور عليها في المكتبة الأهلية بباريس Bibliotheque Nationale, Paris تحت رقم 9654، صفحات 10-11. وكانت هذه النسخة مختصة بمنطقة أورليان Orleans، أما المبعوثان اللذان قد تم إرسالهما لهذه المنطقة، فهما ماجنوس من سينس Magnus of Sens، والكونت جودفريدوس Godefridus. وبشأن النسخة الثانية

التي تناولت تلك التشريعات؛ فقد عُثر عليها ضمن مجموعة مخطوطات التشريعات والقوانين اللاتينية Codices Vossiani Latini، التي جمعها الباحث اسحق فوسيوس Isaac Vossius بمدينة لايدن Leiden الهولندية تحت رقم 4119، صفحات 134–135، وكانت هذه المبعوثية متعلقة بإقليم أكوتين. أما النسخة الثالثة، فقد وُجدت في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم 4995، صفحات 28–29، وسجلت حالتين مختلفتين؛ الأولى كانت بشأن إرسالية ضمت كل من مدن؛ باريس، مو Meaux، مولن Melun، بروفين Provins، إستامب Estampes، شارتر Chartres، بواسي Poissy، وكان هذا هو الجزء الشمالي من ولاية السين الكنسية، وقد تولى على هذا الجزء من المبعوثين، فرادولف رئيس دير القديس دنيس Abbot Fradulf of St. Denis والكونت ستيفن من باريس Stephen of Paris. أما الحالة الثانية (الإرسالية الثانية) فقد تشكلت من جزء كبير من ولاية الرون الكنسية Rouen، وكان المبعوث الذي تولى الإشراف على هذا الجزء، قد أُسندت إليه أيضا، مهمة الحفاظ على خطوط الدفاع الساحلية وشئون المرافئ. ومن هؤلاء المبعوثين الذين عملوا في هذا الجزء؛ ماجنوت Magenaud رئيس أساقفة الرون، والكونت ميدلجوت Madelgaud. وثمة نسخة لاحقة لتشريعات المبعوثين عام 802م، قد ظهرت في حولية فلودورد تاريخ ريمز الجزء الثاني Flodoard's History of Rheims, II، حيث أن ولفار Wulfar رئيس أساقفة ريمز، وُصف بكونه مبعوثاً ملكياً في تلك الإرسالية والتي اشتملت على الجزء الجنوبي الشرقي من ولاية ريمز الكنسية. وقد كان ولفار مبعوثاً ملكياً في منطقة رائيتيا Rhaetia، وفي عام 814م عقد مجمعاً في نويون Noyon لأساقفته، ورؤساء الأديرة وبعض الكونتات، وقد توفى في 18 يونية عام 816م. وبخصوص زميله العلماني، فلم يُعرف له اسماً. كما أن ايكهارد Eckhardt قام باكتشاف بعض من نسخة سادسة لتشريعات المبعوثين الخاصة 802م في مجموعة التشريعات المنسوبة لجيربالد من لييج Gerbald of Liege المكتملة عام 806م. وهذا يشير إلى إن هذه الارسالية ربما امتدت من أراس Arras وفرماندو Vermandois إلى لييج. ولهذا فإن إرسالية عام 802م غطت المناطق الممتدة من بريتاني إلى باريس والسين وريمز وإلى أقصى الشرق عند لييج. راجع:

McKitterick, R., *The Frankish Kingdoms*, p. 94.

10- McKitterick, R., *The Frankish Kingdoms*, p. 93.

عكست محاولات شارلمان في تشكيل إدارة مركزية قوية وثابتة مدى الكم الهائل من التشريعات التي أصدرها في فترة ولايته ووصلت إلينا، ويعتبر تشريع عام 802م بشكل أساسي بعض المراسيم والتعليمات التي غطت مجموعة كبيرة من الموضوعات والاهتمامات. وقد أعدها شارلمان بعد عودته من احتفالية تتويجه إمبراطوراً في روما. وهي تجسد عدداً كبيراً من التعليمات الصادرة من شارلمان إلى موظفيه، وموضوعات تتعلق بعلاقاتهم مع شارلمان بصفته الجديدة كإمبراطور. هذه التعليمات وتلك الإصدارات واجبة النفاذ قد عهد شارلمان بها إلى المبعوثين الذين ظهروا الآن للمرة الأولى كمسئولين نظاميين في الإمبراطورية. وقد تم اختيار هؤلاء المبعوثين من بين المستشارين والموظفين المسئولين وكبار رجال البلاط الإمبراطوري، الكنسيين

والعلمانيين على حد سواء، وتم تكليفهم بأقاليم ومناطق محددة، مبعوثين اثنين لكل منطقة. وكانت تلك الأقاليم تُعد بمثابة تقسيمات إدارية واسعة للإمبراطورية، وكان على المبعوثين أن يرتحلوا عبر أقاليمهم المخصصة إليهم ليباشروا أعمالهم التي أوكلها إليهم الإمبراطور، وتمثلت في النظر في الحالة العامة لشعوب تلك الأقاليم، ومراقبة الناحية الإدارية للمسئولين المحليين للإقليم، وحالة الأراضي الملكية. كما كان يقيم المبعوثين أربعة محاكم عامة في السنة الواحدة في أقاليمهم وذلك لسماع شكاوى الشعب، والفصل في بعض القضايا، كما كان لهم سلطة التحكم والسيطرة على المسئولين المحليين وفصلهم من مركزهم إذا لزم الأمر. وكان لزاماً عليهم أن يكتبوا تقارير للإمبراطور بالحالة العامة للإمبراطورية وأن يستشيروه في الحالات التي يصعب عليهم البت فيها. وعن طريق هؤلاء المبعوثين، حافظ شارلمان على وجود اتصال وثيق مع أقاليم الإمبراطورية، كما حقق اتساقاً وثباتًا بأجزاء إمبراطوريته المختلفة أكثر مما كان، وفي الوقت نفسه تجنب الخطر الآخر المتمثل في ظهور حكام مستقلين في المناطق الكبيرة، عن طريق تغيير هؤلاء المبعوثين كل عام. راجع:

Thatcher, O, et al., *A Source Book for Medieval History*, New York, 1905, pp. 48, 49.

11 - *Capitularia Regum Francorum,* MGH, vol. I, ed. A. Boretius, Hannoverae, 1883, PP. 91,92; Loyn, H. et al., *The Reign of Charlemagne, Documents on Carolingian Government and Administration*, London, 1975, p. 74; Thatcher, O, et al., *A Source Book*, pp. 49,50.

12- *Capitularia Regum Francorum,* MGH, vol. I, ed. A. Boretius, Hannoverae, 1883, PP. 91,92; Loyn, H. et al., *The Reign of Charlemagne, Documents on Carolingian Government and Administration*, London, 1975, p. 74; Thatcher, O, et al., *A Source Book*, pp. 49,50.

13-Thompson, J., *The Decline of the Missi*, pp. 293-294; Costambys, M. et al., *The Carolingian World*, p. 180.

14 - Adele, M., *The Political and Social Influence of the Episcopacy in Western Europe*, PhD thesis, Immaculata, Pennsylvania, 1930, p. 75; Costambys, M. et al., *The Carolingian World*, p. 180; Thompson, J., *The Decline of the Missi*, pp. 292-294; Reuter, T., *Germany in the Early middle ages 800-1056*, London, New York, 2013, pp. 28-29; McKitterick, R., "Charlemagne's missi and their books" in *Early Medieval Studies in Memory of Patrick Wormald*, ed. Stephen Baxter et als., Ashgate, Farnham, England, 2009, p. 260.

يبدو أن المهمة الأولى للمبعوثين كانت سماع شكاوى أهالي الأقاليم ضد الكونتات وإلزام الكونت بتوخي العدالة في إقليمه. وفي حالة عدم امتثاله، يقيم الكونت في مبنى الإدارة الذي يباشر فيه الكونت سلطته ولا يغادره إلا إذا امتثل الكونت لأوامر المبعوث. أما المهمة الثانية للمبعوثين فكانت مصاحبة الأساقفة في زيارات

دورية مفاجئة للتفتيش على رجال الدين، ومعاقبة المهملين منهم. بعد ذلك تأتي المهمة الثالثة للمبعوثين وهي التفتيش على الضياع الخيرية التي تبرع بها الملك للتأكد من سلامة أوضاعها واستخدامها في الأغراض المخصصة لها. وأخيراً كان على المبعوثين أن يتأكدوا من سلامة إجراءات الخدمة العسكرية ومدى تنفيذ الكونتات لأوامر الملك بخصوصها. راجع: سعيد عاشور، محمد أنيس، *النهضات الأوروبية*، ص 65-66.

15- Adele, M., *The Political and Social Influence of the Episcopacy in Western Europe*, PhD thesis, Immaculata, Pennsylvania, 1930, p. 75; Costambys, M. et al., *The Carolingian World*, p. 180; Thompson, J., *The Decline of the Missi*, pp. 292-294; Reuter, T., *Germany in the Early middle ages 800-1056*, London, New York, 2013, pp. 28-29; McKitterick, R., "Charlemagne's missi and their books" in *Early Medieval Studies in Memory of Patrick Wormald*, ed. Stephen Baxter et als., Ashgate, Farnham, England, 2009, p. 260.

16 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 294.

17 - أشارت بعض المصادر إلى أن الإمبراطور لويس التقي قام بتقسيم بعض المناطق وفقاً للأبرشيات المتواجدة بتلك المناطق وعيّن على تلك الأبرشيات عدد من المبعوثين الملكيين، الذين كانوا في حقيقة الأمر أساقفة ورؤساء أساقفة لهذه الأبرشيات، فعلى سبيل المثال قام لويس التقي بتعيين كل من المبعوثين الأسقف هايمينوس Heiminus، والكونت مونوجولدوس Monogoldus في منطقة بيزنسون Besançon، المتواجد بها أبرشية رئاسة أسقفية بيرنوين Bernoini، وكان هايمينوس في نفس الوقت رئيساً لتلك الأسقفية. وفي مدينة ماينز Mayence، عيّن عليها رئيس أسقفيتها، هايستولف Heistulf، كمبعوث ملكي، بصحبة الكونت رودبرتوس Ruodbertus. للمزيد، راجع:

Capitularia Regum Francorum, MGH, vol. I, p. 303.

18 – بعد وفاة كلوفس عام 511م، بدأ الضعف يدب في أوصال المملكة الفرنجية الميروفنجية Merovingian، نتيجة عدم كفاءة خلفائه من الميروفنجيين في الحكم وقصور مفاهيمهم السياسية، وعجز المؤسسات القائمة عن إدارة المملكة. كما أن تقسيم كلوفس وخلفائه للمملكة، جرياً على التمسك بالقواعد الجرمانية، أدى إلى تفتت المملكة الفرنجية واندلاع الحروب الأهلية بين أفراد الأسرة الميروفنجية. وترتب على استمرار التجزئة أن أصبحت المملكة الفرنجية تتألف من ثلاث ممالك صغيرة ترتبط فيما بينها بنوع من التحالف، وهي: أوستراسيا، أو مملكة الشرق وكانت تضم الأراضي الواقعة على جانبي نهري الموز Meuse والراين Rhine، وعاصمتها مدينة ميتز Metz، ومملكة نستريا وتمتد من مصب نهر الإيسكو Escaut حتى مصب نهر اللوار Loire، ومملكة برجنديا. وفي عام 714م أصبح شارل مارتل زعيماً موحداً في الممالك الفرنجية الثلاث، بل أصبح سيداً بلا منازع في المملكة الميروفنجية. راجع:

اينهارد: *سيرة شارلمان*، ص 11؛ نور الدين حاطوم، *تاريخ العصر الوسيط في أوروبا*، جـ 1، دمشق، 1982م، ص81.

19- McKitterick, R., *The Frankish Kingdoms*, pp. 96-97.

للمزيد، راجع:

Werner, K., "Missus-Marchio-Comes, Entre l'administration centrale et l'administration locale de l'empire carolingien", *Beihefte der Francia*,9, Zurich, 1980, pp. 191-239.

20 - ثيودولف من أورليان، واحد من هؤلاء المبعوثين، الذي ترك سرداً لمهمته كمبعوث، وهو ثيودولف القوطي، أسقف أورليان، أسقف عظيم، وواحد من أفضل الرجال المتعلمين في عصره. في عام 797 أو 798م أُرسل ثيودولف كمبعوث ملكي إلى وسط مملكة الفرنجة بصحبة لايدراد Laidrad، رئيس أساقفة ليون Lyon. عندما أنهى ثيودولف مهمته كمبعوث ملكي، ألّف قصيدة من 956 بيتاً بعنوان "ضد القضاة" أو "عظة أو تحذير للقضاة". وفي هذه القصيدة قدم ثيودولف وصفاً لرحلته إلى مهمته عبر الأراضي الفرنجية. راجع:

Adele, M., *The Political and Social Influence,* p. 75.

21- Frassetto, M., *Encyclopedia of Barbarian Europe,* p. 269.

22 – حول هذه القصيدة، راجع:

Versus Teudulfi Episcopi contra Iudices, *Poetae Latini Carolini*, MGH, Tom I, ed. Ernest Duemmler, Berolini, 1881, p. 493-517.

23 – رأى ثيودولف أن أسوأ العيوب هو شيوع استخدام الرشوة للحصول على حكم في صالح الراشي، "فكل إنسان فاسد ومرتشي، الحاجب على بوابته والمستشارون القانونيون على منصتهم، بل إن زوجة القاضي نفسها قد أغواها فريق له مصلحة خاصة. وقد عالج ثيودولف في قصيدته كثيراً من الأشياء التي حاول كثيرون إرشاءه بها، منها الأواني الزجاجية والجواهر الشرقية والنقود الذهبية التي تحمل حروفاً عربية والديباج الموشى بأشكال الثيران وبنماذج هندسية ذات تصميم أسيوي، بالإضافة إلى الأسلحة والخيول، على أن أثمن هذه الكنوز جميعاً وعاء من الفضة يرجع إلى عهد الإمبراطورية الرومانية يحمل نقوشاً بارزة توضح أعمال هرقل اليومية، أما المتقاضون من الفئات المتواضعة فلم يكونوا أقل إصراراً على تقديم ما لديهم من هدايا جلود قرطبة المصبوغة والمنسوجات الكتانية والصوفية والأحذية والقبعات والقفازات فضلاً عن مناشف الوجه. لكن القاضي النزيه يرفض كل هذه الهدايا، على أنه ربما قبل بعض الهدايا الصغيرة من بعض الأصدقاء رغبة في عدم جرح مشاعرهم مثل ثمار الحدائق والبساتين والخبز والبيض والجبن المصنوع من لبن الماعز وصغار الدجاج والطيور الصغيرة حجماً" للمزيد، راجع:

Versus Teudulfi Episcopi contra Iudices, *Poetae Latini Carolini*, p. 493-517;
موس، سانت، *ميلاد العصور الوسطى 395-814م*، ت./ عبد العزيز جاويد، م./ السيد الباز العريني، القاهرة، 1998م، ص. 360-363؛ عفاف سيد صبرة، *الإمبراطوريتان*، ص 174-175.

24- Glover, D., *The Touch of Evil; the Political of Corruption in the Frankish Kingdoms 450-987*, PhD thesis, Purdue University, West Lafayette, Indiana, 2011, p. 192; Adele, M., *The Political and Social Influence of the Episcopacy in Western Europe*, p. 76.

25- Glover, D., *The Touch of Evil; the Political of Corruption in the Frankish Kingdoms 450-987*, p. 202.

26- Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 294.

27 - أصدر شارل الأصلع تشريعات خاصة بعملية إحياء نظام المبعوث الملكي عام 853م بمدينة سيرفيه تحت مُسمى "Capitulary of Servais"، ونصت ديباجة تلك التشريعات على أن أسلاف الملك شارل الأصلع (شارلمان ولويس التقي ...) أنشأوا نظام المبعوث الملكي من أجل خدمة الرب وكنيسته المقدسة وأيضا من أجل الحفاظ على النظام والقانون. وقد استعان شارل الأصلع بكثير من الاقتباسات من تشريعات كل من شارلمان ولويس التقي عندما شرع في كتابة تشريعاته. وفي يونية من عام 854م أصدر شارل الأصلع تعليماته الإصلاحية إلى هؤلاء المبعوثين ونتيجة لذلك تم توسيع مجال أنشطتهم كما زاد عددهم مما أسهم في ظهور مؤشرات النجاح من خلال إحياء عملية التجارة؛ فقد أمر شارل الأصلع بوضع لوائح وترتيبات جديدة لحماية التجارة والتصدي للعملات المزيفة. كما تم إعادة فتح الممرات المائية، التي كانت غير آمنة لفترة طويلة من جراء هجمات رجال الشمال المتكررة، وكذلك الممرات المهملة تم إعادة فتحها، وعهد إلى هؤلاء المبعوثين مسئولية إصلاح الجسور أيضا، وتلقي قسم الولاء والتبعية من جميع الأطراف لصالح الملك شارل الأصلع. وقد أظهرت نتائج اجتماع سواسون Soissons في أبريل عام 853م، جهود شارل الأصلع الإصلاحية من خلال التحقيق في ممتلكات الكنيسة وإصلاح شأن الأديرة. كل هذه الأعمال الإصلاحية ربما كانت نتاج عملية إحياء نظام المبعوثين الملكيين. راجع:

Annals of St. Bertin, Vol. 1, trans. By Janet L. Nelson, Manchester and New York, 1991, p. 76; Thompson, J., *The Decline of the Missi*, pp. 298-299; Nelson, J., "The Reign of Charles the Bald: A Survey" in *Charles the Bald Court and Kingdom,* eds. Margaret T. Gibson et al., Oxford, 1990, p. 11.

28 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 296.

29 – الجمعية العامة، هي الجمعية الأهلية الجرمانية القديمة التي كانت من أهم ركائز القبائل الجرمانية، والتي تميزت بدور الريادة جنباً إلى جنب مع زعيم أو ملك القبيلة، ولها الحق في مناقشة وتشارك إصدار القرارات مع الملك في المجتمعات الجرمانية، وكان يتم انعقاد تلك الجمعية في فترات معينة من العام، وفي فترة حكم شارلمان بوصفه ملكاً على الفرنجة (768–800م)، كان يدع الجمعية للانعقاد، ليستطلع من أعضائها الرأي العام في السياسة العليا للدولة، وكان رأيها استشارياً فقط، أما في أصول القانون الجرماني؛ فكان لهذه الجمعية الحق في انتخاب الملوك ومناقشة القرارات الكبرى كالحرب مثلاً أو الهجرة إلى مكان آخر، غير أن قوة شخصية شارلمان جعل قرارات هذه الجمعية تتخذ صفة شكلية فقط دون أن يكون لها تأثير قوي على

قراراته، وبعدما تولى لويس التقي حكم الإمبراطورية، اتصفت شخصيته بالضعف العام، فلم يكن لديه حنكة سياسية مثل والده، وسمح للجمعية العامة في أن تتدخل في قراراته مثلما تم في قضية نظام المبعوث الملكي. للمزيد، راجع: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ت./ إبراهيم علي طرخان، القاهرة، 1959م؛

Kleinclausz, A., *Charlemagne*, Paris, 1938.

30- Thompson, J., *The Decline of the Missi*, pp. 294-295; Adele, M., *The Political and Social Influence of the Episcopacy in Western Europe*, p. 78.

31 – دخل لويس التقي في صراع كبير وحرب أهلية طاحنة بينه وبين أبنائه حول تقسيم الإمبراطورية بين الأبناء، ويُعد هذا التقسيم بمثابة تقليد جرماني متوارث بين القبائل الجرمانية؛ فقد جرت العادة أن يقوم قائد القبيلة أو الملك بتقسيم أراضي المملكة أو الإمبراطورية بين الأبناء، وهذا ما حدث مع لويس التقي عندما قسم الإمبراطورية بين الأبناء، إلا أن التقسيم لم يأتِ على هوى الأبناء الأشقاء؛ لوثير، ولويس الألماني، وبيبن، نتيجة لوجود ابن غير شقيق للويس التقي، وهو شارل الأصلع. للمزيد والاستزادة حول موضوع صراع لويس التقي مع أبنائه، انظر:

Carolingian Chronicles: Royal Frankish Annals and Nithard's Histories, trans. By Bernard W. Scholz, Ann Arbor, 1972.

32- Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 295; Adele, M., *The Political and Social Influence of the Episcopacy in Western Europe*, p. 79.

33 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 295.

34 – قبيلة البريتون، فرع من القبائل الكالتية Celtic People، التي كانت تقطن منطقة جنوب غرب بريطانيا Britain، ثم بدأت هجرتها منذ القرن الخامس الميلادي ناحية فرنسا، وعاشت تحديداً في إقليم بريتاني Brittany، وقد أصبح هذا الإقليم تابعاً لشارلمان مع بداية القرن التاسع الميلادي، نتيجة لتوسعات شارلمان لضم أراضي عديدة لإمبراطوريته الناشئة، ولكن في عام 846م استطاع نومينو Nominoë، زعيم البريتون في توحيد بعض عشائره وقاد ثورة عارمة ضد حكم شارل الأصلع، مما جعل الأمر ليس باليسير على شارل الأصلع لإحكام قبضته في غرب الإمبراطورية. للمزيد، راجع:

Minahan, J., *One Europe, Many Nations, A Historical Dictionary of European Nations Groups*, London, 2000, p. 130.

35 – بيرنارد دوق برشلونة ثم سبتمانيا، ابن الكونت ويليام من تولوز William of Toulouse، جدته هي ابنة الملك الفرنجي شارل المطرقة Charles the Martel. خدم برنارد في بلاط لويس التقي بوصفه أحد الكونتات المميزين؛ فكان لويس التقي يصطحبه في حملاته العسكرية، ونظرا لبراعته وتفوقه العسكري؛ فقد أنعم عليه لويس التقي بوظيفة حاجب الملك، وكبير الموظفين في البلاط الملكي. وقف برنارد على الحياد من الحرب الأهلية التي دارت بين أبناء لويس التقي بعد وفاته، وبعد انتصار الأخوين شارل الأصلع ولويس الألماني على أخيهم لوثير في معركة فونتينوي عام 841م، وعد برنارد الملك شارل الأصلع بأن يقدم له فروض الولاء والتبعية، غير أنه تلكأ في ذلك الأمر، بل وتعاون مع بيبن من أكوتين ضد شارل الأصلع، بعدما علم

أن شارل الأصلع يريد طرده من إقليم تولوز الذي كان يحكمه والده الكونت ويليام، وأثناء معركة دارت في تولوز عام 844م، تم القبض على برنارد، الذي تم إعدامه بأمر من شارل الأصلع. للمزيد، راجع:

Carolingian Chronicles: Royal Frankish Annals and Nithard's Histories; *Charlemagne and Louis the Pious, the Lives by Einhard, Notker, Ermoldus, Thegan, and the Astronomer*, trans. Thomas F. X. Noble, Pennsylvania, 2009.

36 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 296.

37 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, pp. 296-297.

38 - *Annals of St. Bertin*, pp. 62−63; Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 297.

39 - Count Lambert II of Nantes: الكونت لامبرت الثاني حاكم نانت، هو ابن لامبرت الأول، تولى حكم نانت أثناء ولاية شارل الأصلع، بل وساند الملك شارل الأصلع في معركة فونتينوي عام 841م ضد أخيه لوثير، إلا أنه انقلب عليه بسبب تعيين شارل الأصلع لشخص آخر حكم نانت. وانضم لامبرت إلى نومينو زعيم البريتون وقادا ثورة عارمة ضده انتهت بتفوق شارل الأصلع وقتل لامبرت الثاني عام 852م. للمزيد، راجع:

Hogan, R., "The Rainaldi of Angers: New Men or Descendants of Carolingian Nobiles?", *MP*, 2, 1, (Spring, 1981), pp. 35-62; Smith, J., *Province and Empire; Brittany and the Carolingians*, Cambridge, 1992.

40 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 298.

يذكر كاتب حولية القديس برتان أن شارل الأصلع قام بدعوة أخيه لوثير للمجيء إليه، وقد استقبله بطريقة طيبة تتسم بالود، وعامله بالتكريم والشرف، وذلك بعد فترة صراع وحروب بينهما، ولا ننس المعركة التي دارت بينهما في فونتينوي Fontenoy عام 841م، وانتهت بهزيمة لوثير وأفضت إلى تقسيم الإمبراطورية بين الأخوة الثلاثة؛ لوثير، وشارل الأصلع، ولويس الألماني. على أية حال، تناقش الأخوان حول بعض الأمور الإصلاحية، ثم ودع شارل أخيه لوثير وزوده بالهدايا في طريق عودته. وفي نفس العام 852م قُتلا كل من لامبرت وأخوه وارنر Warner، الذين كانا مصدر إزعاج وقلق في الإمبراطورية، علاوة على أن أحد عناصر البريتون وأهمهم سالومون Salomon صار مخلصاً أميناً وتابعاً لشارل الأصلع، مما جعل شارل ينعم عليه باقتطاعه جزء من إقليم بريتاني، كما قام سانشو Sancho كونت جاسكوني بالقبض على بيبن وظل تحت حراسته حتى يمثل أمام شارل الذي أمر بإيداعه في دير القديس ميدارد St. Medard في سواسون بعد أن جز شعره مثل الرهبان. للمزيد، انظر:

Annals of St. Bertin, pp. 74-75.

41 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, pp. 306-307.

42 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 308.

43 - Davis, J., *Charlemagne's Practice of Empire*, Cambridge, 2015, p. 92.

للمزيد، راجع دراسة أديلهايد كراه:

Krah, A., *Absetzungsverfahren als Spiegelbild von Königsmacht, Untersuchungen zum Kräfteverhältnis zwischen Königtum und Adel im Karolingerreich und seinen*

Nachfolgestaaen, Untersuchungen zur deutschen Staats- und Rechtsgeschichte neue Folge XXVI (Aalen: Scientia, 1987).

برنارد ملك إيطاليا؛ هو الابن غير الشرعي لبيبن ابن شارلمان ملك إيطاليا، وُلد في عام 797م، اهتم به جده شارلمان وعهد إليه بحكم إيطاليا بعد وفاة والده بيبن. وجاءت ثورته نتيجة أن عمه الإمبراطور لويس التقي أراد في عام 817م أن يرتب ويقسم الإمبراطورية بين أبنائه، وقد أغفل حصة برنارد ابن أخيه المتوفى من هذا التقسيم، بل جعله تابعاً لابن عمه لوثير، الذي أصبح إمبراطوراً مشاركاً للويس التقي وبالتالي ستكون إيطاليا من نصيبه نتيجة لهذا التقسيم، هذا الأمر أثار غضب برنارد، الذي قام بحشد بعض رجاله، الذين كان لهم دور في تدبير تلك الثورة، وقاد التمرد ضد عمه لويس التقي، وفي محاولة منه للتفاوض مع عمه في مدينة شالون الفرنسية Chalon، قام لويس التقي على الفور بالقبض عليه، وسمل عينيه، ثم توفي بعد ذلك بأيام قليلة. للمزيد، راجع:

Carolingian Chronicles: Royal Frankish Annals and Nithard's Histories, p. 103; *Charlemagne and Louis the Pious*, p. 10; Poupardin, R., "Louis the Pious", *CMH*., (eds.), Vol. III, New York, 1922, p. 11; Nelson, J., "The Frankish Kingdoms 814-898: the West", *NCMH*., ed. Rosamond McKitterick, Vol. II, New York, 1995, pp. 112-114.

44 - Davis, J., *Charlemagne's Practice of Empire*, p. 93.

عن تمرد الكونت سيجواينس، راجع:

Carolingian Chronicles: Royal Frankish Annals and Nithard's Histories, p. 100.

45 - Davis, J., *Charlemagne's Practice of Empire*, pp. 93-94.

46 – عقد شارل الأصلع اجتماعاً في مدينة كيرزي بفرنسا، وقد التقى بعدد من النبلاء ورجال الدين في الإمبراطورية، وكان من بين الحاضرين، هنكمار رئيس أساقفة ريمز Hincmar Archbishop of Reims، وجوسلين أسقف باريس Gauzlin Bishop of Paris، وغيرهم، وقد أصدر شارل الأصلع في هذا الاجتماع عدة قرارات وبنود تشريعية، من شأنها المحافظة على النواحي الإدارية بالإمبراطورية وحرصه الدائم على تنفيذ تلك القرارات خاصة وأنه كان يقود حملات عسكرية في إيطاليا لتأديب بعض المتمردين، واحتوت تشريعات كيرزي على ثلاثة وثلاثين بنداً، وقد تناول البند التاسع قضية إرث الكونتية؛ فذكر أنه إذا توفي الكونت، فكان على ابنه أن يرث وظيفة والده. وقد عزز هذا البند حرص طبقة النبلاء من الكونتات على التمسك بحقوقهم وتسارع تلك الطبقات الإقطاعية وتنافسها على السلطة الملكية. للمزيد، راجع:

Capitularia Regum Francorum, MGH, vol. II, ed. A. Boretius, Hannoverae, 1897, pp 355-361; *Annals of St- Bertin*, p. 200; Poupardin, R., "The Carolingian Kingdoms (840-877)", *CMH*, Vol. III, eds., New York, 1922, p. 53.

47 - Davis, J., *Charlemagne's Practice of Empire*, p. 91.

48 - Thompson, J., *The Decline of the Missi*, p. 309.

ثمة أمور هامة كان لها دور كبير في انهيار نظام المبعوث الملكي، التي كانت تابعة بشكل مباشر للإمبراطور الكارولنجي، والتي تحولت بعد ذلك، نتيجة لظروف طارئة بالإمبراطورية، إلى وسيلة لتحقيق أغراض وأهداف

شخصية تصب في مصلحة ذلك المبعوث، ففي غرب الإمبراطورية الكارولنجية، وتحديداً في فرنسا، كانت هناك أسرة إقطاعية نافست وبشدة الأسرة الكارولنجية ونجحت للوصول إلى سدة حكم فرنسا، هذه الأسرة هي "آل كابيه"، فقد نجح هيو كابيه Hugh Capet (941–996م) في السيطرة على معظم أنحاء فرنسا عام 986م، وتم تتويجه ملكاً على فرنسا في نفس العام الذي توفي فيه لويس الخامس Louis V، آخر ملوك الأسرة الكارولنجية في الغرب، وبذلك بدأ تاريخ أسرة جديدة ورثت الحكم من الكارولنجيين، أما في شرق الإمبراطورية فكان الحاكم باسم الأسرة الكارولنجية هو طفلاً لم يتجاوز الثامنة من عمره، لويس الطفل، الذي ورث الحكم خلفاً لوالده الملك أرنولف Arnulf (850–899م)، وفي تلك الفترة قويت النزعة الإقطاعية، وجاءت مصحوبة بروح عنصرية، مما ساعد على استمرار الصراعات الأهلية، وربما أدت هذه الصراعات إلى استمرارية وراثة مناصب الدوقات والكونتات، والقضاء تماماً على نظام المبعوث الملكي. للمزيد، راجع:

Poupardin, R., "The Carolingian Kingdoms (877-918)", *CMH*, Vol. III, p. 68.